

المطلب الأول: مكة لغةً واصطلاحاً

مكة لغةً: مأخوذة من "المكّ"، ومكّ الفصيل ما في ضرع أمه يمكه مكاً ومكوكاً، وامتكه وتمكمه وكّمكه: امتص ما فيه من المخّ، واسم ذلك الشيء: المكاكة والمكاك. ومكة: قيل سميت بذلك؛ لأنها كانت تمكّ من ظلم فيها وألحد، أي: تهلكه، قال الراجز:

يامكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجاً وعكا⁽¹⁾

وقيل: سميت مكة؛ (لاجتذابها الناس من كل أفق، يقال: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة: إذا استقصاه، فلم يدع منه شيئاً)⁽²⁾.

وقيل؛ (لأنها تمكّ ذنوب المؤمنين، أي: تذهب بها)⁽³⁾.

ومكة اصطلاحاً: الحرم، قال الماوردي (ت: 450هـ): (أمّا الحرم فمكة وما طاف بها من نصب حرمها)⁽⁴⁾.

وسنأتي على اختيار المعنى الراجح من هذه المعاني لاسم مكة.

المطلب الثاني: أسماء مكة المكرمة

إنّ الأشياء الشريفة تكثر أسماءها؛ لكثرة مناقبها وعظمة محاسنها، وانتشار فوائدها ونفعها، قال الإمام النووي: (واعلم أنّ كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، كما في أسماء الله تعالى وأسماء رسوله ﷺ، ولا نعلم بلداً أكثر أسماء من مكة والمدينة؛ لكونهما أفضل الأرض)⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب مادة (مك): 490/10-491، والرازي، مختار الصحاح: مادة (مك): 263.

(2) المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة: ج1/ص151.

(3) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم دمشق، 1408هـ: نص: 134.

(4) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: نص: 232.

(5) النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار المعرفة، بيروت: ج3/ص157، وينظر: السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله (ت: 911هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1326هـ: ج1/ص7.

وقد قاربت أسماء مكة الخمسين اسماً، منها ماورد في القرآن الكريم، ومنها ما تناقله العلماء عبر العصور، وسأذكر أشهر تلك الأسماء محاولاً بيان معاني كل منها، والعثور على الحكمة من اختيار أي اسم من تلك الأسماء الواردة في القرآن الكريم على وفق السياق القرآني الذي وردت فيه فأقول وبالله التوفيق وعليه التكلان:

- الاسم الأول: مكة المكرمة:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾⁽¹⁾، وبطن مكة: الحديبية⁽²⁾.

وقد مرت بنا ثلاثة أقوال في معنى "مكة" أرى أنها صحيحة جميعها لكن بعضها مقدم على الآخر، فمكة سميت بهذا الاسم؛ لأنها تملك ذنوب المؤمنين الذين يقصدونها بالزيارة والتعظيم ويؤدون نسكهم في أرجائها، فتمحق ذنوبهم وتمحو خطاياهم، وتذهب أوزارهم فيعودون أنقياء كنقاء الثوب الأبيض من الدنس، وهذا المعنى مقدم على غيره من كونها تدق أعناق الجبابة، ويؤيد ذلك العقل والنقل.

أما العقل فلأن مواضع العبادة إنما وضعت لتكون مواطن رحمة وأماكن ترتجى لغفران الذنوب بالدرجة الأولى، وبعد ذلك تأتي مسألة عقوبة من أساء إليها -وهي ثابتة لا شك فيها- ثم إن المسيئين هم الشواذ، ولا يصح أن نتخذ من الشواذ أمراً شائعاً فنقدمه على غيره.

وأما النقل فلقول النبي ﷺ: ﴿من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه﴾⁽³⁾.

حكمة الاسم

يختار القرآن الكريم كل لفظة بدقة تامة، ولمعرفة الحكمة من اختيار هذا الاسم في هذا الموضع لا بد أن نعرف أن سبب نزول هذه الآية هو إن النبي ﷺ نزل قبل فتح مكة إلى الحديبية ومعه أصحابه

(1) سورة الفتح، آية: 24.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط5، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: ج16/ص185-186.

(3) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، 1407هـ -

1987م: ج2/ص645 رقم1723 ورقم1724، ومسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث

العربي، بيروت: ج2/ص983، رقم1350 وج2/ص553 رقم1449.

فهاجمهم جماعة من أهل مكة، فأمكن الله الصحابة منهم، فأسروهم ثم منّ عليهم النبي ﷺ فأطلقهم⁽¹⁾، وقد جاءت هذه الآية في سياق عدة آيات تذكر امتنان الله تعالى على المؤمنين بالنصر والتأييد، وقهره سبحانه للكافرين، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁽²⁾، وبناءً على ذلك فإنني أرى أن مكة سميت بهذا الاسم في هذا الموضع لما يأتي:

1- إن مكة قد محقت الكافرين ومكنت المؤمنين منهم في تلك الحادثة.

2- سماها باسمها المعروف لئلا ينصرف الذهن إلى غيرها.

3- وقال "بطن مكة" ليشير إلى عظم الامتنان فكأنه يقول: لقد مننتُ عليكم أيها المؤمنون حين أنجيتكم من أعدائكم، وأنتم في وسطهم، وهم محيطون بكم من كل جانب، ولم أُجِّحكم فحسب بل مكنتكم منهم، وفي ذلك كله دليل على عظم الامتنان، وهو ما يوافق السياق القرآني. والله أعلم.

- الاسم الثاني: بكة

ويأتي هذا الاسم في الشهرة بعد اسم مكة، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، قال الطبري (ت: 310هـ): (يعني: للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البكة: الزحم، يقال منه: بك فلان فلاناً، إذا زحمه وصدمه فهو يبكه بكاً، وهم يتباكون، أي: يزدحمون)⁽⁴⁾، وقيل سميت بكة: (لأنها تبك أعناق الجابرة ومن ألد فيها بظلم، أي: تدققها)⁽⁵⁾.

وقد اختلف العلماء في الفرق بين مكة وبكة من حيث تحديد كل منهما على ثلاثة أقوال:

- الأول: إن بكة هو اسم القرية، وأما مكة فهو منزل بأسفل ذي طوى فيه أبيات⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، ص: 286-287.

(2) سورة الفتح، آية: 22.

(3) سورة آل عمران، آية: 96.

(4) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، دار الفكر، بيروت، 1405هـ: ج4/ص9.

(5) الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، بيروت، ج1/ص126.

(6) البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: 487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، ج1/ص269.

-الثاني: إِنَّ بَكَّةَ لَغَةُ فِي مَكَّةَ، كَالنَّبِيْطِ وَالنَّمِيْطِ⁽¹⁾.

-الثالث: بَكَّةَ مَوْضِعُ الْمَسْجِدِ، وَمَكَّةُ الْبَلَدِ⁽²⁾. وهو الراجح.

حكمة الاسم

ورد في سبب نزول هذه الآية عن مجاهد قال: (تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة؛ لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة. وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية)⁽³⁾، فسياق هذه الآية يقتضي تعظيم مكة، وكأنه سبحانه أراد أن يؤيد كلام المؤمنين، ويذكر اليهود بأن من عظمة مكة ومسجدها أن الناس وفي كل الأزمنة يزدهمون ويتباكون عند مسجدها ويتزاحمون عند كعبتها المعظمة فلا تخلو منهم في أي زمنٍ من الأزمنة، وما ذاك إلا لمنزلتها وفضلها.

ثم إن بداية الآية تذكر "أول بيت" ومكة المكرمة لم تكن قبل بناء سيدنا إبراهيم ► بلدة مأهولة بالقاطنين بل كانت في وادٍ غير ذي زرع، أي: كان موضع البيت فقط، فهو "بكة". والله أعلم.

-الاسم الثالث: أم القرى

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

-الأول: قوله تعالى: ► وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ⁽⁴⁾.

(1) البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفت، دار الفكر، بيروت، 1416هـ-1996م: ج2/ص67.

(2) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ)، معجم البلدان، تحقيق: مركز جمعة الماجد، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت: ج1/ص254، وينظر، القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت: 978هـ)، أنيس الفقهاء، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، ط1، دار الوفاء، جدة، 1406هـ: نص: 128.

(3) الواحدي، أسباب النزول: 84.

(4) سورة الأنعام، آية: 92.

– الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (1).

– الثالث: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (2).

وفي سبب تسمية "مكة" بـ"أم القرى" ثلاثة آراء:

أ– سميت مكة بأم القرى؛ لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصل الأرض كلها، كالأم أصل النسل (3).

ب– وقيل؛ لأنها سرّة الأرض وقبلّة أهل القرى وأعظمها شأنًا، ولأن الناس يؤمنونها (4).

ج– لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب، وأعظمها خطرًا؛ إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة، أو انكفائهم إليها، وتعويلهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله تعالى (5).

قلت: والقول الأول هو أدق الأقوال لما توصل إليه العلم الحديث من اكتشاف علمي وذلك في

يناير سنة 1977م إذ يقول ذلك الاكتشاف: (إنّ مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم... وهي

قلب الأرض، وهي بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب

المغناطيسي يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقها كل من زار مكة حاجاً أم معتمراً بقلب منيب، فهو يحس

بأنه ينجذب فطرياً إلى كل ما فيها.. أرضها.. وجبالها.. وكل ركنٍ فيها.. حتى ليكاد لو استطاع ان يذوب

في كيانها مندمجاً بقلبه وقالبه، وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي) (6).

حكمة الاسم

الملاحظ أنّ هذا الاسم قد أتى في سياق الانذار "لتنذر أم القرى.. وتنذر يوم الجمع"، ويبدو أنّ

المراد بذلك تقريع أهل القرى الأخرى التي لم تؤمن، وذلك أن الناس كانوا يعظمون مكة منذ أن كان

(1) سورة القصص، آية: 59.

(2) سورة الشورى، آية: 7.

(3) الطبري، تفسير: 548/1، وينظر: البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت: 516هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ-

1987م: ج2/ص115، وينظر: الحنبلي، محمد بن أبي الفتح (ت: 709هـ)، المطلاع، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م: ص73.

(4) النحاس، أبو جعفر (ت: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ: ج1/ص49، والنسفي، أبو البركات عبد الله بن

أحمد (ت: 701هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: صفوان عدنان، ط1، دار القلم، بيروت، 1415هـ: ج1/ص334.

(5) الحموي، معجم البلدان: 254/1.

(6) يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ط2، مكتبة ابن حجر، دمشق، 1424هـ-2003م: ص214-215.

البيت، ويرونها أقدس القرى وأعظمها منزلةً وأنها تهلك من أساء إليها، ولذلك سموها أم القرى، فإذا جاء الإنذار لأم القرى وهي من هي، فالإنذار والتخويف والتحذير لغيرها من باب أولى، فإذا سمع أهل تلك القرى ذلك الخطاب أوقع في نفوسهم من التأثير ما لم يوقعه الإنذار المباشر، وأمثلة هذا الخطاب كثيرة في القرآن الكريم، ويمكننا أن نجعله من باب خطاب الرئيس والمراد المرؤوس.

والله أعلم.

— الاسم الرابع: البلد

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم خمس مرات تراوحت بين التعريف والتنكير، فأما ما ورد معروفاً بأل فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾⁽¹⁾، وقوله سبحانه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾⁽²⁾، وأما ما ورد منكراً فقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ...﴾⁽³⁾، وقوله عز شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾⁽⁴⁾.

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالبلد مكة⁽⁵⁾.

وقال ابن منظور: (البلد: جنس المكان كالعراق والشام... والبلد: مكة تفخيماً لها كالنجم للشريا والعود للمندل)⁽⁶⁾، وقال المناوي (ت: 1031هـ): (البلد المكان المحدود والمتأثر باجتماع قُطَّانِهِ وإقامتهم فيه، وسميت المفازة بلداً؛ لكونها من موضع الوحش، والمقبرة بلداً؛ لكونها موطناً للأموات، وأبلد الرجل: إذا صار ذا بلد)⁽⁷⁾.

وخلاصة ذلك أن مكة سميت بلداً؛ لأنَّ الناس اتخذوها مكاناً للسكن وموطناً للإقامة.

(1) سورة إبراهيم، من الآية: 35.

(2) سورة البلد، الآيتان: 1-2.

(3) سورة النحل، من الآية: 7.

(4) سورة البقرة، من الآية: 126.

(5) القرطبي، تفسير: 40/20.

(6) لسان العرب، مادة (بلد): 94/3.

(7) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1410هـ: نص 144.

حكمة الاسم

أولاً: اختيار الاسم: الملاحظ أنّ سيدنا إبراهيم ► دعا لمكة أن تكون بلداً مأهولاً بالناس، وأرى أنّ السبب وراء ذلك هو عطف سيدنا إبراهيم ► ورحمته بزوجه هاجر وولدها إسماعيل ►؛ لأنه تركهما بعد بنائه للبيت، فدعا الله أن يكون ذلك البيت وما حوله مقطوناً من الناس كي يؤانسوها ثم لم يكتف بذلك بل طلب من الله لمكة أعظم منحة يمكن أن تمنح لكل بلد وهي الأمان.

ثانياً: التعريف والتنكير: ورد اسم "البلد" معرّفاً بـ "بأل" في سورة إبراهيم في حين ورد مُنْكَراً في سورة البقرة، وقد بين الشوكاني (ت: 1250هـ) الفرق بينهما فقال: (والفرق بين ما هنا وما هنالك أنّ المطلوب هنا مجرد الأمان، والمطلوب هنالك البلدية والأمن)⁽¹⁾.

أي إنّ المطلوب في سورة إبراهيم بقوله "بلداً آمناً" البلدية والأمن، والمطلوب في سورة البقرة بقوله "هذا البلد آمناً" مجرد الأمان.

— الاسم الخامس: البلد الأمين

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾⁽²⁾، قال القرطبي: (البلد الأمين: يعني مكة سماه أميناً؛ لأنه آمنٌ، كما قال: ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا...﴾⁽³⁾، وقال البروسوي (ت: 1137هـ): (وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهليةً وإسلاماً، من قتلٍ وسبيٍّ كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه)⁽⁴⁾.

حكمة الاسم

قال بعض الأئمة: (هذه محالٌ ثلاثة بعث الله في كل واحدة منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم ►، والثاني طور سينين: وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ►، والثالث مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ►، قالوا: في آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة "جاء الله من طور سيناء" يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، "وأشرق

(1) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1383هـ-1964م: ج3/ص112.

(2) سورة التين، الآيات: 1-2-3.

(3) القرطبي، تفسير: 77/20، والآية من سورة العنكبوت، من الآية 67.

(4) البروسوي، إسماعيل حقي، روح البيان، مكتبة أثر، اسطنبول، 1389هـ: ج10/ص467.

من ساعير" يعني جبل بيت المقدس الذي بعث منه عيسى، "واستعلن من جبل فاران" يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولذلك أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما⁽¹⁾.

قلت: قد ذكرت السورة أموراً مادية وجعلتها إشارةً لأُمورٍ معنوية فجعلت التين والزيتون إشارةً إلى مولد عيسى ﷺ ومبعثه، وجعلت طور سيناء إشارةً إلى سيدنا موسى ﷺ، فناسب أن تذكر أبرز سمة للبلد الذي ولد فيه سيدنا محمد ﷺ وبعث، وهي كونه بلداً آمناً يمنح من يلتجئ إليه الأمان. والله أعلم.

—الاسم السادس: البلدة

ذكر القرآن الكريم هذا الاسم في موضعٍ واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا...﴾⁽²⁾، وهذا الاسم يتفق مع الاسم الرابع من حيث الاشتقاق وبيانه من حيث الصيغة، فالبلد بصيغة المذكر، والبلدة بصيغة المؤنث، وقد بين علماء اللغة الفرق بينهما، قال ابن منظور: (البلدة والبلد: كل موضع أو قطعة مستحيزة عامرة كانت أو غير عامرة... والبلد: جنس المكان كالعراق والشام، والبلدة: الجزء المخصص منه كالبصرة ودمشق)⁽³⁾.

حكمة الاسم

ولما كانت البلدة أخص من البلد فقد ظهر لي أن الحكمة من اختيار هذا الاسم في هذا الموضع ترجع لأُمور:

- أولها: أن المقصود هو الجزء المخصص بالتحريم، لامكة كلها يؤيده قوله سبحانه: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾.
- ثانيها: إن هذه الآية وردت في معرض الدعوة إلى الله من خلال آيات الترغيب والترهيب، منها قوله سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ⁽⁴⁾، فليس السياق هاهنا منصفاً على تعظيم مكة، وإنما المراد هنا لفت أنظار الناس إلى أن الله تعالى هو من حرّمها، ولولا ذلك لكانت بلدةً كسائر البلدات ولذلك فإنه

(1) ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت، 1410هـ: ج4/ص527-528.

(2) سورة النمل، من الآية: 91.

(3) لسان العرب، مادة (بلد): 3/94.

(4) سورة النمل، الآيتان: 89-90.

سبحانه أحق أن يعبد وحده، ولا يحق لمن يسكن بجوار حرمة فيأمن بذلك الجوار أن يعبد سواه، ولا أن يغتر بخدمة البيت وقاصديه ويترك الإيمان برب البيت الذي وهب مكة تلك الحرمة.

—ثالثها: إنه أنث الاسم؛ لأن العرب إذا أرادت نسبة شيء إلى القوة والمنعة ذكرته وإن كان مؤنثاً، وإن أرادت نسبته إلى نوع من الضعف والحاجة أنثته وإن كان مذكراً، والآية منصبة على تعظيم الله، لا تعظيم مكة، وكأنه يشير بذلك أن هذه البلدة لم تحرم لذاتها وإنما لما منحها الله، فهي من مخلوقاته التي تلوذ به وهي مفتقرة إليه. والله أعلم.

—الاسم السابع: الحرم الآمن

وهذا الاسم وإن كان إلى الوصف أقرب إلا أنه عد من أسماء مكة⁽¹⁾، وقد ورد في القرآن الكريم مرتين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾⁽³⁾، قال البيضاوي: (أولم يروا: يعني أهل مكة، أنا جعلنا حرماً آمناً؛ أي: جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدي، آمناً أهله عن القتل والسبي، ويتخطف الناس من حولهم: يختلسون قتلاً وسيباً، إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب)⁽⁴⁾.

حكمة الاسم

ولنا أن نتساءل هنا ما الحكمة من ذكر "الآمن" مع أن كلمة حرم متضمنة لذلك المعنى؟ الجواب على ذلك: إن الآيتين وردتا في سياق حجاج الكافرين من خلال ذكر نعم الله عليهم، فالآية الأولى قبلها هي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ...﴾⁽⁵⁾، والآية الثانية سبقتها آيات كثيرة في هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

(1) ينظر مثلاً: د. محمد إلياس عبد الغني، تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً، ط1، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، 1422هـ: ص13.

(2) سورة القصص، من الآية: 57.

(3) سورة العنكبوت، آية: 67.

(4) البيضاوي، تفسير: 324/4.

(5) سورة القصص، من الآية: 57.

فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ⁽¹⁾، فناسب ذلك الامتنان أن يذكرهم بنعمة ذلك المكان ذي الحرمه العظيمة، المهاب، الآمن، الذي آمنوا فيه على أنفسهم، وأصابتهم خيراته، ونعموا في أمنه وبركاته. والله أعلم.

— الاسم الثامن: معاد

وأخذ هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...﴾⁽²⁾، قال القرطبي عن هذه الآية: (ختم السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ برده إلى مكة قاهراً لأعدائه... قال القتيبي: معاد الرجل: بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود)⁽³⁾، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): (لرادك إلى معاد، قال: إلى مكة)⁽⁴⁾.

حكمة الاسم

وإذا تأملنا سبب نزول هذه الآية تبينت لنا الحكمة من اختيار هذا الاسم، فعن الضحاك قال: (لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فنزلت الآية)⁽⁵⁾، فقد أراد سبحانه أن يطمئن قلب حبيبه محمد ﷺ بأن أمر عودته إلى مكة فاتحاً أمر قطعي لا مرأى فيه، وهو وعد من الله الذي لا يخلف الميعاد، ولذلك سماها معاد. والله أعلم.

— الاسم التاسع: القرية

ورد ذكر "القرية" في القرآن الكريم بمعنى مكة المكرمة أربع مرات، قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾⁽⁶⁾، ووصف سبحانه حال المستضعفين فيها فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا﴾⁽⁷⁾، كما ذكر سبحانه وتعالى عقوبته لهم فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً

(1) سورة العنكبوت، آية 67.

(2) سورة القصص، من الآية: 85.

(3) القرطبي، تفسير: 212/13.

(4) البخاري، الصحيح: 4/1790 رقم 4495.

(5) القاسمي، محمد جمال الدين (ت: 1332هـ - 1914م) محاسن التأويل، تحقيق: أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ - 2003م: ج 7/ص 563.

(6) سورة محمد ﷺ، آية: 13.

(7) سورة النساء، من الآية: 75.

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (1) ، وذكر محاجة المشركين فقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (2) ، والقريتان: مكة والطائف (3) .

والقرية: (المصر الجامع... والقرية من المساكن والأبنية والضياع، وقد يطلق على المدن) (4) ، وقال المناوي: (القرية: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعاً... أو هي كل مكانٍ اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً، يقع على المدن وغيرها) (5) .

حكمة الاسم

لو تأملنا الآيات التي تذكر القرى عموماً لوجدناها آيات تقريع لأهلها حتى ارتبط ذكر أهل القرى بالمخالفين لأمر الله والمعتدين على حدوده أو بالهلاك وهو نتيجة لذلك الخروج والعصيان، وهكذا نجد جميع الآيات التي تذكر مكة بلفظ "القرية" تأتي في مقام التقريع والتوبيخ وتسفيه أحلام أهلها المشركين، وذم عقولهم ومستوى تفكيرهم حتى كان جزاؤهم الهلاك؛ لأنهم استضعفوا الناس وظلموهم حتى كان دعاء المستضعفين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا...﴾ (6) .

ثم أقول: والإشارة التي تفهم من خطاب الله لحبيبه محمد ﷺ بقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ...﴾ ، أن الله يقول له: يا حبيبي إذا أخرجك أهل مكة فإني لا آبه لها، وهي أهون عندي أن أهلكها كما أهلكت القرى التي من شأنها الكفر، وهي إذا آذتك فهي قرية كسائر القرى، وإن عظمتك وأكرمتك عظمتها، فأنت سر عظمتها عندي.

والله أعلم.

- الاسم العاشر: المسجد الحرام

وقد تردد هذا الاسم في القرآن الكريم كثيراً فأريد به حيناً مكة المكرمة كلها، وقصد به أحياناً آخر المسجد بالتحديد، ولاختلاف المفسرين في تحديد المراد به في بعض تلك الآيات، فإنه يصعب تحديد

(1) سورة النحل، آية: 112.

(2) سورة الزخرف، من الآية: 31.

(3) ابن كثير، تفسير: 99/3.

(4) ابن منظور، لسان العرب: مادة (قر) 15/177.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف: 1/581.

(6) سورة النساء، من الآية: 75.

عدد المرات التي ورد فيها لفظ المسجد وأريد به مكة، وليس ذلك الخلاف بأمر ذي بال سوى أنه يثبت إطلاق لفظ المسجد الحرام على مكة وهو المقصود، فمنها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾⁽¹⁾، قال الشيخ عبد الكريم المدرس (ت: 2005م): (وحاضروه من كان مسكنه بمكة المكرمة، أو بالحرم، أو بأرض تكون على مسافة القصر، أو أقل منها لا أزيد)⁽²⁾. ومنها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾⁽³⁾، وكلمة "حرام" مشتقة من "حرم"، والحرم بفتح الحاء من (حَرَّمَ الشَّيْءُ حُرْمًا وَحَرَامًا، أي: امتنع فعله، ومنه الحرام بمعنى الممنوع، والحرمة: ما لا يحل انتهاكه، وأيضا المهابة، وهي اسم بمعنى الاحترام، والجمع حرمت)⁽⁴⁾.

حكمة الاسم

لم يأت هذا الاسم في القرآن الكريم إلا في سياق كمال التعظيم، أو الإنكار على من ينتهك حرمة مكة سواء أريد به مكة كلها، أم موضع المسجد فقط، ولذلك لما أراد سبحانه تعظيم مكة وذكر فضلها وأنها أعظم من المسجد الأقصى ذكر لها صفتين: أنها مسجد، وأنها حرم، فللمسجد حرمة وللحرم حرمة أخرى. والله أعلم.

– الاسم الحادي عشر: مخرج الصدق

وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾⁽⁵⁾، قال البروسوي: (فالمدخل والمخرج: مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود، أي: إدخالاً يستأهل أن يسمى إدخالاً ولا يرى فيه ما يكره؛ لأنه في مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء، وقيل، المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة)⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة، من الآية: 196.

(2) المدرس، عبد الكريم محمد، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1406هـ-1986م، ج1/ص348.

(3) سورة الاسراء، من الآية: 1.

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط: مادة (حرم): 250.

(5) سورة الاسراء، آية: 80.

(6) البروسوي، تفسير: 193/5.

حكمة الاسم

ولتتضح لنا الحكمة من هذا الاسم نتأمل بعض الآيات التي سبقت الآية التي ورد فيها، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾، قال مجاهد وقتادة: (نزلت في هم أهل مكة بإخراجه) ولو أخرجه لما أمهلوا ولكن الله أمره بالهجرة فخرج⁽²⁾. قلت: ولذلك استعمل هذا الاسم، والمعنى: أخرجني من مكة خروجاً لا أؤذى فيه حتى لا يهلك أهل مكة.

والله أعلم.

— الاسم الثاني عشر: واد غير ذي زرع

حكى لنا القرآن الكريم دعاء سيدنا إبراهيم ﴿لمكة وأهلها في قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾، قال البيضاوي: (بواد غير ذي زرع: يعني وادي مكة، فإنها حجرية لا تنبت)⁽⁴⁾.

حكمة الاسم

ولعل الحكمة من هذه التسمية أن سيدنا إبراهيم ﴿لما كان في موقف التذلل والدعاء بين يدي الله سبحانه وتعالى أراد أن يستعطفه ويستجلب رحمته حين ذكر افتقار مكة وقلة ثمراتها، ولا ننس أن ذلك من رحمة سيدنا إبراهيم ﴿بولده إسماعيل﴾ وذريته.

والله أعلم.

— الاسم الثالث عشر: النساسة

ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم ولكنه ورد في أقوال العلماء ممن أروخوا لمكة⁽⁵⁾، قال الفاسي (ت: 832هـ): (والنساسة من أسماء مكة كأنها تسوق الناس إلى الجنة والرحمة، والمحدث بها إلى

(1) سورة الاسراء، آية: 76.

(2) القرطبي، تفسير: 159/10.

(3) سورة ابراهيم، آية: 37.

(4) البيضاوي، تفسير: 351/3.

(5) ينظر مثلاً: الفاسي، ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد الفاسي (ت: 832هـ)، «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب

العلمية، بيروت: ج 1/ص 50.

جهنم⁽¹⁾، وقيل: (لأنها تنسُ الملحد، أي: تطرده، وقيل: لقلّة مائها، والنّسُ: اليبس)⁽²⁾، قلتُ: وتنسُ ذنوبَ المؤمنين، أي: تذهبها.

— الاسم الرابع عشر: صلاح، صلاحُ

والأول على وزن "قطام"، قال ابن منظور: (يجوز أن يكون من الصُّلح؛ لقوله عز وجل: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾⁽³⁾، ويجوز أن يكون من الصَّلَاح)⁽⁴⁾، وفيها يقول أبو سفيان ابن حرب لابن الحضرمي:

أبا مطرٍ هلُمَّ إلى صلاح
وتنزلُ بلدةً عزّت قديماً
فيكفيكَ الندامى من قريش
وتأمن أن يزورك ربُّ جيش⁽⁵⁾

قلتُ: ويمكننا أن نعزو هذه التسمية لأمور عدة، لعل منها:

- 1— إنّ من سكنها آمن على نفسه وماله من أي اعتداء، وهذا صلاحٌ للنفس والمال.
 - 2— إنّ من قصدتها للحج أو العمرة غفرت ذنوبه، وهذا صلاح في الدين.
 - 3— إنّ من شرب من مائها "زُمزم" شُفيت أسقامه وقُضيت حوائجُه، وهذا صلاحٌ للجسد، وللدنيا.
 - 4— إنّها محطُّ تنزّل رحمت الله، فهي صلاحٌ للروح.
- الاسم الخامس عشر: أم رحم

قال الزمخشري: (أم رحم: أصل الرحمة)⁽⁶⁾، وقيل: (لأنّ الناس يتراحمون عندها ويتوازعون)⁽⁷⁾، قلتُ: وكل ذلك كائنٌ.

وهناك أسماء كثيرة لمكة المكرمة ذكرها العلماء وشرحوا معانيها، غير أنّ ما بقي منها مستعملاً ومتداولاً هو ماورد منها في القرآن الكريم وهي الاثنا عشر اسماً التي مرّ ذكرها.

(1) الحموي، معجم البلدان: 284/5.

(2) النوي، أبو زكريا محي الدين بن شرف، المجموع، تحقيق: محمود مطر، ط1، دار الفكر، بيروت، 1417هـ-1996م: ج2/ص4.

(3) سورة القصص، من الآية: 57.

(4) لسان العرب: مادة (صلح): 517/2.

(5) الفاسي، المصدر السابق: 50/1.

(6) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث: 126/1.

(7) الفاسي، شفاء الغرام: 51/1.